الجهود الصوتيَّة للعلماء العرب القدماء.

د. فراكيس امحمد طالب دكتوراه جامعة وهران1

المقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة، وأتمُّ التسليم على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين ، أمّا بعد:

كان العرب من أوائل من عنوا منذ القديم بالدراسات المختلفة للغة وذلك لأنّها ميزتهم التي اختصهم الله بها، فهم أرباب البيان، كما اختصت لغتهم بميزات عديدة لم تتوافر لسواها من اللّغات الإنسانية عامّة. وقد كان الدين الإسلامي من العوامل الهامّة التي ساعدت على نهوض هذه الدّراسة، إذ حفزهم الشعور الديني إلى الحفاظ على لغة القرآن الكريم خوفًا من التحريف والتغيير، فوصفوا لنا الحروف وصفا دقيقا أثار دهشة المستشرقين ، وتحدّثوا عن صفات الحروف وأصواتها .وقد اعترف بذلك المستشرق " برجستراسر" قائلا : " ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند (يعني البراهمة) والعرب" [(1)]. فالعرب هم من السابقين في هذا الميدان لأنّهم ساروا بلغتهم على نمط خاص من ابتكار العلماء العرب وباستقلال عن الهند.

فهذا البحث يكشف عن جهود الصوتيّين الأوائل. وأشهر علمائها الخليل بن أحمد الفراهيدي، **وسيبويه، والفرّاء، والجاحظ، والمبرّد، وابن دريد، وابن مجاهد، وأبو سعيد السيرافيّ، وأبو عليّ الرّمانيّ، وابن جنيّ، ومكيّ بن أبي طالب القيسيّ، والدانيّ، وعبد الوهاب القرطبيّ، وابن الطحّان الأندلسيّ.**

1-الخليل بن أحمد الفراهيديّ: أبو عبد الرحمن الخليلُ بن أحمد بن عمرو بن تميم الفَراهيديُّ الدوسيّ ، ولد سنة (100هـ – 718 م) بالبصرة، ونشأ بها، وهو من أصحاب المدرسة النقليّة. يعد من أعظم علماء العرب من الصَّوتيِّين ، أخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه

و ليس من شك أن الخليل نظر إلى اللغة نظرة جديدة. لقد كانت بين يديه مادة غزيرة، منها ما قرأه على أبي عمرو بن العلاء من مروياته في القراءة والشعر و الغريب، و منها ما سمعه من عيسى بن عمر من كتاباته النحوية التي يقال إنها بلغت سبعين، و أثنى الخليل نفسه على اثنين منها، و هما «الجامع» و «الإكمال»، ثم سمع من فصحاء العرب في بوادي نجد و تهامة و الحجاز، و قارن بين ما سمع و ما رأى من جهود سابقيه في بناء الصرح النحوي، كل هذا جعله يخلص إلى أن اللغة صنعت صنعا منطقيا، مثل له بدار محكمة البناء عجيبة النظم و الأقسام. و كل ما وضع فيها من رسوم و حدود و أبواب، جاء لعلل قامت في عقول العرب و إن لم تنقل عنهم لأنّهم نطقوا على سجيتهم و طباعهم"[(2)]. ،"فكان الخليلَ مفتاحُ العُلومِ ومُصَرِّفُها"[(3)]. و قد ضربوا الأمثال بعلمه، فيقول إسحق الموصليّ في هجاء الأصمعي:

و يزعم أنه قد كان يفتي *** أبا عمرو و يسأله الخليل

ويقول النجار في هجاء التوزي:

و اللّه لو كنت الخليل *** لما كتبت عليك لفظه "[(4)].

كتب الخليل معجمَ العَين بعيداً عن البصرةِ في خراسان، عند تلميذِه اللَّيث بن المظفَّر بن نصرِ بن سيار، وقد ظهرالكتاب بعْدَ وفاةِ الخليلِ وسيبويه بما يَقْرُبُ من ستِّين سنةٍ. وأنكَر البَصْرِيِّون أن يكونَ

هذا المعْجَمُ للخَلِيل، وكان مِن حُجَجِهم أنَّ في العَين من القضايا والآراء والمصطلحات ما يُخَالِفُ ما عندهم من كتاب سيبويه "[5].

و قيل في سبب وفاته أنه صدمته سارية حينما كان يفكر في نوع من الحساب، تستطيع المرأة بفضله أن تحمي نفسها من ظلم القضاة، فمات من ذلك في البصرة سنة 174هـ "[6].

أعماله الصوتيَّة:

. ترتيبُ الخليل للأصواتِ استفاد منه سيبويه في الكتاب، وابنُ دُريدٍ في الجمهرة، والرازيُّ في الزِّينة، وابن جنيّ في كتابه: (سرّ صناعة الإعراب) حيث زاوَجَ بين كلام الخليلِ ومصطلحاتِهِ وألقابِه وما ذكَرَه سيبويه في كتابه، وتبِعَ ابنَ جنيٍّ بعد ذلك أهلُ التجويد كمكيٍّ في الرِّعاية، والدانيٍّ في التحديد، والقرطبيٍّ في الموضح، وأبي العلاء الهمَذانيٍّ في التمهيد. وستَكشِف مصطلحات البحث هذا التسلسلَ التاريخيّ.

. اختَرَعَ علمَ العَروضِ، ووضعَ نظامَه وألقابَهُ، ذكَرَ الزجَّاجُ أنَّ ابنَ دُرَيدٍ أخبرَهُ عن أبي حاتمٍ عن الأخفَشِ قال:"سألْتُ الخليلَ بعْدَ أن عمِل كتاب العَرُوضِ: لم سمَّيتَ الطويلَ طويلاً ؟ قال: لأنَّه طال بتمام أجزائه، قلتُ: فالبسيط؟ قال: لأنّهُ انبَسَطَ عن مدى الطَّويل وجاء وسطُهُ: فَعِلُن وآخرُه: فَعِلُن... الخ"[7].

. تبدِيلُ النِّظام العلاميِّ النّقَطِيِّ الذي وضعَه أبو الأسودِ الدُّؤليُّ بنظامٍ أسهلَ منه وأكثرَ تطوُّراً، لعلَلٍ صوتيَّةٍ اتَّخذَها لذلك، فعلامةُ الهمزةِ، والحركات، والتشديدِ، والرَّومِ، والإشمام كلُّها مِن وضعِ الخليل"[8].

. تَضَمُّن معجَم العَين لمصطلحاتٍ وشُروحاتٍ تَكشِفُ عن أصولِ مصطلحات سيبويه الصَّوتيَّةِ في الكتاب، كـ: (الحروف المشْرَبة)، و(الاعتماد).

. وضَع الخليلُ رسالَتَين في النَّغَم والإيقاعِ، كما يقولُ ابن النَّديم،"[9]

. أشار الخليلُ إلى أنَّ اللُّغة العربيَّةَ تعتَمِدُ النِّظامَ المقطعيَّ في نُطقِ أصواتِها.

. من منهجِ العَين أنَّ الخليلَ كانَ يَستَخْدِمُ أكثرَ مِن مُصْطَلَحٍ للشَّيءِ الوَاحِد، فهو دَائِمُ الاختراعِ والتجريبِ، ويَرجِعُ ذلك إلى معرِفَتِهِ الواسِعَةِ باللُّغَةِ، إضافةً إلى عَبْقَرِيَّتِهِ وذَكَائِهِ النَّادِرِ في وضعِ كلِّ شيءٍ في مَوضعِه، ومن أمثلة ذلك: (الإدغام) استَخْدَمَ له الخليلُ: (الانْحِشَاءَ، واللَّفِيفَ، والإدغام)، وكذلك في الإمالة استخدَمَ مصطلحَ : (الإجناح، والإمالة)، وفي المخارجِ استَعمل: (المخَارِجَ، والمَوَاضِعَ، والأحيَازَ، والمَبَادِئَ، والمَدَارِجَ).

. في العَين من الدَّقَائِقِ الصَّوتيَّةِ ما لا تَجِدُهُ في غَيْرِهِ اللهمَّ إلا عند سيبويه، كتعريفِه للهمس الذي قارَبَ فيه من مفهوم الهمس عند المعاصِرين.

2- سيبويه (148هـ - 180 هـ / 765 - 796م): أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبَر البصريّ الملقَّب بسيبويه، ، إمام النحاة، وأول من بسّط علم النحو. أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وعيسى بن عمر ، وأبي زيد الأنصاري، وأبي الخطاب الأخفش الكبير وغيرهم.وسيبويه، هي كلمة فارسية مركبة وتعني "رائحة التفاح" ، حيث أن السِّيْب هو : التفاح ، ووَيْه : رائحته ، أي : رائحة التفاح ، وقيل سمي بسيبويه لجماله وحمرة بوجنتيه..

كان لكِتَابِ سيبويه ومصطلحاتِه تأثيرٌ طاغٍ على غالِبِ النَّحْوِيِّين والقرَّاء، وعلى الرُّغم من أنَّ الغرضَ من تأليف كتابه هو إحياءُ علم الخليل "[10]انتشرَ الكتابُ انتشاراً واسعاً .

يقول شيخُه الخليل عندما يَدخُلُ عليه سيبويه: "مرحباً بزائرٍ لا يُمَلُّ "[11] .

قال ابن جنيّ عن فضلِ سيبويه على اللُّغة العربيَّة:"وإنَّ إنساناً أحاطَ بقاصِي هذه اللُّغاتِ المنتشرةِ، وتَحَجَّرَ أذْرَاءَها المترَامِية، على سعةِ البلادِ، وتَعادِي ألسنتِها اللِّدادِ، وكثرةِ التَّواضُعِ بين أهلِها مِن حاضرٍ وبادٍ، حتى اغترَقَ جميعَ كلامِ الصُّرحاءِ والهُجَناءِ، والعبيدِ والإماءِ، في أطرارِ الأرضِ، ذاتِ الطُّولِ والعَرْض، ما بينَ مَنثورٍ إلى منظومٍ، ومَخْطُوبٍ بهِ إلى مَسْجُوع، حتى لغاتِ الرُّعاةِ الأجلافِ، والرَّواعي ذَواتِ صِرارِ الأخلافِ، وعُقَّلائهم والمِذْخُولِين، وهُذاتِهم المَوَسْوِسين، في جِدِّهِمْ وهَزْلِهم، وحَرْبِهِم وسِلْمِهِم، وتَغَايُرِ الأحوالِ عليهمْ، فَلَمْ يُخْلِلْ مِن جميعِ ذلك . على سعتِهِ وانبثاثِهِ، وتَناشُرِهِ واختلافِه . إلاَّ بأحرُفٍ تافِهَةِ المقدار، مُتَهافِتَةٍ على البَحْثِ والاعتبار، ولَعَلَّها أو أكثرها مأخوذةٌ عمَّن فسَدَتْ لُغتُهُ،فلمْ تَلْزَم عُهْدَته، لجديرٌ أن يُعْلَمَ بذلك توفيقُهُ، وأن يُخَلَّى لهُ إلى غايتِهِ طريقُه"[12]

في قرية البيضاء بشيراز "[13] وقد اختلف المؤرخون في السنة التي توفي فيها وأرجح سنة 180هـ

أعماله الصوتيَّة:

والأعمالُ الصَّوتيَّةُ التي قامَ بها سيبويه، وكان لها تأثيرٌ على المصطلحِ الصَّوتيِّ لا يُمْكِنُ تلخيصُها في نقاطٍ؛ لأنَّ منهجَه في الأصوات ومصطلحاتِه، وآراءَه وتعليلاتِه الصوتيَّة المبثوثة في الكتاب تُمثِّلُ . في غالبِها . العلمَ الصَّوتيَّ عند أصحاب المدرسة النقليَّة.

فمن أمثلة ذلك ترتيبُه لمخارج الحروف وصفاتِها، قال ابن جنيّ:"فهذا هو ترتيبُ الحروفِ على مَذاقِها وتَصَعُّدِها... مِمَّا رتَّبه سيبويه وتلاه أصحابُه عليه، وهو الصَّوابُ الذي يَشْهَدُ له التأمُّلُ بصحَّتِه"[14].

وقال الدانيُّ:"اعلموا أنَّ قُطْبَ التجويدِ ومِلاكَ التحقيقِ معرفةُ مخارجِ الحروفِ وصفاتِها التي بها يَنفَصِلُ بعضُها من بعضٍ وإن اشتركَ في المخرج. وأنا أذكُر ذلك على مَذْهَب سيبويه خاصَّةً؛ إذ هو الصَّحيح المعَوَّلُ عليه، إن شاء الله تعالى"[15] .

وقد سار سيبويه على نهجِ الخليلِ بالتغيير في المصطلحاتِ، فمن ذلك تعبيرُه عن الصَّوتين المتماثلَين بـ: (المثلان)، و(الحَرْفُ الذي هُو مثلُ ما بعدَه)، و(الحرفان اللَّذان تَضَعُ لهما مَوضعاً واحداً لا يَزولُ عنه)، و(الحرفان اللَّذان هما سواء)، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

3-الفرَّاء: أبو زَكَرِيا يَحيى بنُ زيادٍ الدَّيْلَمِيُّ المعروف بالفَرَّاء،وسمي بذلك، لأنه كان يفري الكلام" أي:يصلحه ولد في الكوفة سنة 144 هـ ،ثم انتقل إلى بغداد، وجعل أكثر مقامه فيها.تتلمذ على الشيخ الكسائيِّ. سَمِع من يونس بنِ حبيب الضبيِّ (شيخ سيبويه)"[16].

ذَكَر الزَّبيديُّ أنَّه لولا الفرَّاءُ ما كانتْ عربيةٌ؛ لأنه حَصَّنَهَا وضَبَطَهَا، وأنَّ كُتُبَه لا يُوازَى بها كتابٌ"[17]، ومدحَه الزجَّاجيُّ بأنَّه حسن النَّظَر، وأورد عنه حكايةً في ذلك"[18].

أعماله الصوتيَّة:

. ذَكَر بعضُ العلماء أنَّه جعَل مخارجَ الحروف أربعةَ عشر مخرجاً، وذلك بجعْل اللاَّم والنون والرَّاء من مخرجٍ واحدٍ، ولم يُخبرْنا العلماءُ هل تابَع سيبويه في ترتيب الحروف الأخرى أم لا ؟ "[19]

لكنَّ الملفتَ للنَّظَر أنَّه في كتابه جعَل اللامَ والنُّونَ قريبَيْ المخرج"[20] ، وهو قولٌ يَنقُضُ الكلامَ المنقولَ عنه اللهمَّ إلا إذا لاحظَ المخارجَ الجزئيَّة، أي: لكلِّ حرفٍ مخرجٌ خاصٌّ به، بدليل قوله في موضعٍ آخَر أنَّ الطاءَ أقربُ إلى التاء في المخرج من الظاء والذال والثاء، مع العلم أنَّ الطاء والتاء والدالَ من مخرجٍ واحد، فهذا نظيرُ ذاك"[21].

. إشارته الواضحة إلى مخارجِ الحركات"[22].

. ملاحظاتُ الفرَّاءِ الصوتيةِ في معاني القرآن تُركِّزُ على التناسُبِ بين الأصوات، وقد استَعمل مصطلحاتٍ لذلك، مثل: (الحرف العَدْلِ بين الحرفين) "[23]، نحو إبدالِ التاءِ دالاً في مدَّكر أصلُها: مُذْتَكِر، فالدالُ هو الحرفُ الوسيطُ العَدْلُ الذي يُقرِّبُ بين التاءِ والذالِ.

. قدَّم الفرَّاء عدداً من النُّصوص النادرة ذكَر فيها كيف كان الصحابةُ والتابعون يُعبِّرون عن قراءاتهم، فمن أمثلة ذلك: (تَطْوِيلُ الألف)، وهو من أقدم ما استُعمِل للتعبيرِ عن المدِّ، ويَرجع إلى القرن الأوَّل الهجريّ، قال الفرَّاء:"حدَّثَني عدَّةٌ، منهم: المفَضَّلُ الضبِّيُّ، وقَيسٌ، وأبو بكرٍ، كلُّهم عن جَحشِ بنِ زيادٍ الضبِّيِّ عن تميمِ بنِ حَذْلَمَ (ت 98 هـ)، قال: قرأتُ على عبدِ الله بن مسعودٍ: [وَكُلٌّ آتُوهُ دَخِرِينَ] **النمل: 87**، بتَطْوِيلِ الألِف. فقال: [وَكلٌّ أَتَوْهُ] بغير تَطْويل الألِفِ"[24].

وهذا يُفيد في الكشف عن الإرهاصات المبكِّرة للمصطلحات، وستأتي عدة أمثلةٍ أخرى في البحث.

. قدَّم الفرَّاء عدداً من القواعدِ الصَّوتيّة المهمَّة، فمن ذلك قاعدتُه الدقيقةُ في الإدغام والإظهار: (يُدْغَمُ ما يَثْقُلُ على اللِّسانِ إظهارُهُ، ويُظْهَرُ ما يَسهُلُ فيه الإظهار)"[25].

. قدَّمَ الفراءُ عدداً من المصطلحاتِ الصَّوتيَّة استعملها عددٌ من الذين جاؤوا بعدَهُ من القرَّاء في كتبهم كابن مجاهدٍ وأصحابه، فمن ذلك مصطلح الإخفاء في النُّون حيث عنَى فيه كلَّ ما يَبقى معه غُنَّة، فدخَل فيه: الإدغامُ بغنَّة"[26].

وترتَّب من جرَّاءِ ذلك أن حمَل بعضُ القرَّاء . ممَّن لم يَطَّلعوا على مفهوم عبارات الفرَّاء ومن تابعَه . العباراتِ التي عُبِّر فيها عن هذه المعاني الأربعة بهذا المصطلحِ على ما أراده سيبويه من الإخفاء، فوقَعوا في الوهْمِ، وصاروا يُخفُون ذات الميم في نحو: [مِنْ بَعْد] و [تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ] كإخفائهم النُّون عند الخمسة عشر. حَصَل هذا في القرن السَّادس الهجريِّ، وما زِلْنا نَلْحَظُ آثارَهُ إلى اليوم في نُطقِ بعضِ القرَّاء.

. عِلْمُ الفرَّاء بسعة اللُّغة جعَلَته لا يُنكِرُ شيئاً من اللُّغة حتى لو لم يَسْمَعه، قال:"وإن لم تَسْمَعْهُ فلا تُنكِرَنَّهُ إن أتَى"[27].

وهذا يُبَرِّرُ ما أجازه الكوفيُّون دون البصريِّين من إدغامِ الرَّاء في اللاَّم، والجمعِ بين ساكنَين في وسط الكلمة في نحو: [شَهْر رَّمضَان] في قراءة أبي عمرو، والله أعلم.

. تنبيه الفرَّاء إلى أهمية الترسُّل والتأني في قراءة القرآن، فمن ذلك قوله:"والعربُ تُدْغِمُ اللاَّمَ مِن (هل) و(بل) عند التاءِ خاصة، وهو في كلامهم عالٍ كثيرٌ، يقول: (هل تدري وهتَّدْري)، فقَرَأَها القُرَّاءُ على ذلك، وإنَّما أستَحِبُّ في القراءةِ خاصةً تبيانَ ذلك؛ لأنَّهما منفصلان لَيْسا من حرفٍ واحدٍ، وإنَّما بُنِيَ القرآنُ على التَرسُّلِ والترتيلِ وإشباعِ الكلام، فتِبيَانُهُ أحبُّ إليَّ مِن إدغامه، وقد أَدْغَمَ القُرَّاءُ الكِبَارُ، وكلٌّ صَوَابٌ"[28].

وهذا يُساعِدُ على تفسير بعض الظواهرِ الصَّوتيَّة التي تعتمِد على التأنِّي وتحقيق ذوات الحروف في الأداء القرآنيّ كمثل إظهارِ القَلْقَلَةِ في وسط الكلمة، والسَّكْتِ على الساكنِ قبل الهمزة في بعض الكلمات.

. توضيحه الفرق بين من قرأ القرآن بالتعلُّمِ وبين مَن قرأهُ بالطَّبع، أي مَن نشأ في أكناف اللُّغة، قال:"لأنَّ القراءَةَ من المولَّدِين مصنوعةٌ، لم يأخُذوها بطِبَاعِ الأعرابِ، إنَّما أخَذُوها بالصَّنعةِ. فالأعرابيُّ ذلك جَائزٌ لهُ لِمَا يَجري على لسانِه من خَفيفِ الكلامِ وثَقِيله.

ولو اقْتَسْتَ في القراءةِ على ما يَخِفُّ على ألْسُنِ العربِ فيُخَفِّفُونَ أو يُدْغِمُون لخَفَّفْتَ قولَه: [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً]، فقلتَ: (أيْشِنَ اكْبَرُ شَهَادَة)، وهوكلامُ العرب. فليسَ القراءةُ على ذلكَ، إنما القراءةُ على الإشباعِ والتمكين"[29]

4- الجَاحِظُ

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني ، الملقب بالجاحظ ، ولد سنة 163هـ بالبصرة ، أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي ، مختلف في أصله فمنهم من قال بأنّه عربي من قبيلةكنانة ومنهم من قال بأنّ أصله يعود للزنج وأنّ جدّه كان مولى لرجل من بني كنانةوكان ذلك بسبب بشرته السمراء الغامقة ،وفي رسالة الجاحظ اشتهر عنه قوله أنّه عربي وليس زنجي حيث قال : "أنا رجل من بني كنانة ، وللخلافة قرابة ،

ولي فيها شفعة ، وهم بعد جنس وعصبة "[30] توفي سنة 255هـ ،ومن أهم كتبه: البيان والتبيين، كتاب المحاسن والأضداد ،كتاب البخلاء .

أعماله الصوتيَّة :

. قدَّم الجاحظُ عدداً من المصطلحات الصَّوتيَّة نقَلَها مَن جاء بعده، فهو صاحبُ التعبير المشهور: (إعطاءُ الحروفِ حقوقَها)"[31]

. من الأوائل الذين أشاروا إلى أهميَّة التدريبِ النُّطقيِّ في تصحيح الكلام، وعبَّر عن هذا التدريب الذي يَحتاجُ إلى جهدٍ بـ: (التكلُّف)، فذكَر أنَّه بطول استِعمال التكلُّف تَذِلُّ الجوارح، ومتى ترَكَ الإنسانُ شَمائِلَهُ على حَالِها، ولِسانَهُ على سَجِيَّتِهِ كان مقصوراً بعادَةِ المِنشَأِ على الشَّكْلِ الذي لم يَزَل فيه "[32].

ولعلَّ هذا النصَّ هو إرهاصةٌ لكلام الدانيِّ الذي أصبح فيما بعدُ ركناً من أركانِ علم التجويد، أعني قوله:"وليس بين التجويدِ وتركِه إلا رياضةُ من تَدَبَّرَه بِفكِّه"[33].

وهو يَكشِفُ عن العلاقةِ بين حديث البلاغيِّين وما قاله أهلُ التجويد في كتبِهم؛ حيث تعلَّقا بالاحترازات الأدائيَّة وتصحيح النُّطق في الكلام العربيّ عموماً والأداء القرآنيّ خاصةً، كما يؤدِّي إلى التأريخ الحقيقيّ والبداية الصَّحيحة لعلم التجويد الذي سُجِّلَتْ ظهورُ أوَّل مصنَّفاته في أواخر القرن الرابع الهجريّ وأوائل الخامس"[34].

. ذكَر أنَّ الميمَ والباءَ أوَّلُ حرفين ينطقُهما الطِّفلُ؛ لرؤيته عمَلَ الشفتين بهما، قال:"والميمُ والباءُ أوَّلُ ما يَتَهَيَّأُ في أفواهِ الأطفال، كقَولِهِمْ: (مَامَا) و (بَابَا)؛ لأنهما خَارِجَان مِن عَمَلِ اللِّسَانِ، وإنَّما يَظْهَرَانِ بالتقاءِ الشَّفَتَين"[35].

. يُعَدُّ الجاحظُ أحدَ الرُّوَّادِ الأوائل الذين تَعرَّضوا لعيوب النُّطق سواء أكانت عيوباً فطريَّة كاللُّثغة التي تَعرِضُ للصِّبيان إلى أن يكبَروا"[36]، أو خَلْقيَّة كالتأتأة والفأفأة"[37]، أو بِحُكْم العادة النُّطقيَّة والمنشأ كتعلُّم الأجنبيّ لغةً غير لغته"[38]، أو عُيوباً يأتي النَّهي عنها من باب تجميل النُّطق وتحسينه، كالنَّهي عن التشديق والتقعير والتقعيب في الكلام"[39].

. نبَّه إلى قصور الكتابةِ في تصوير النُّطق تصويراً صحيحاً فضلاً عن تصوير عُيوبه، قال عن اللُّثغة بالشِّين:"فأمَّا التي هي على الشِّين المعْجَمَة، فذلك شيءٌ لا يُصَوِّرُهُ الخطُّ؛ لأنه ليس من الحروف المعروفةِ، وإنما هو مخرجٌ من المخارجِ، والمخارجُ لا تُحصى ولا يوقَفُ عليها"[40]. وقال عن اللُّثغة بالراء التي كانت لواصل بن عطاء أحد أئمَّة المعتزلة:"وأمَّا اللُّثغة الخاصَّة التي كانت تَعرِضُ لواصل بن عطاء... فليس إلى تصويرها سبيلٌ. وكذلك **اللُّثغة** التي تَعرِضُ في السِّين... فإنَّ تلك أيضاً ليست لها صورةٌ في الخطِّ تُرَى بالعَين، وإنَّما يُصَوِّرُها اللِّسانُ وتتأدَّى إلى السَّمْع"[41].

وهو بهذا يُسجِّلُ سبقاً على الصوتيِّين المعاصِرين الذين يعدُّون الأشكال الكتابيَّة ثانويَّةً بالنِّسبة إلى رموز الكلام الملْفُوظة"[42].

5– المبرِّدُ : أبو العباس محمّدُ بن يزيد الأزديُّ الملقَّب بالمبرِّد، قد لُقب بالمبرد قيل: لحسن وجهه، وقيل: لدقته وحسن جوابه، ونسبه بعضهم إلى البردة تهكمًا، وذلك غيرة وحسدًا.ينتهي نسبه بمثالة ، (عوف بن أسلم من الأزد). ولد سنة 825م، هو أحد العلماء الجهابذة في علوم البلاغة والنحو والنقد ، عاش في العصر العباسي في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). وهووأحدُ أئمَّة الأدب المبرِّزين.

قال جنيّ : " يعدّ المبرّد جبلا في العلم ، وإليه أفضت مقالات أصحابنا ، وهو الذي نقلها وقرّرها ، وأجرى الفروع والعلل والمقاييس عليها" [43].

يُعَدُّ كتابُه المقتضب شرحاً لكتاب سيبويه، وهو أحدُ المراجعِ الهامَّة التي اعتَمَد عليها كثيرٌ من العلماء في الجانب الصَّوتيّ، كابن جنيّ، ومكيّ، والدانيّ، وعبد الوهَّاب القرطبيّ. ومن أهم كتبه: ما لمقتضب والكامل. وتوفي عام 286هـ– 899 م)

أعماله الصوتيَّة :

. قدَّم عدداً من الرُّؤى الصوتيَّة تبنَّاها عددٌ من العلماء الذين جاؤوا بعده، فمن ذلك ما ذكَره عن الحروف المتوسِّطة أنَّها أصواتٌ شديدةٌ يَجري فيها النَّفَسُ [الصَّوت] لاستعانتها بصوت مجاورها. وهو أوَّلُ مَن أدخَل حروفَ المدِّ واللِّينِ ضِمنَها"[44].

ومن ذلك إدخالُهُ الكافَ ضِمنَ حروفِ القلقلة"[45]، ونُسِب ذلك خطأً إلى سيبويه. وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

. قدَّم عدداً من القواعدِ الصَّوتيَّة الهامَّة، منها قوله عن الإدغام:"الإدغامُ لا يُبْخِسُ الحروفَ ولا يُنقِصُها"[46]. والقاعدةُ الأخرى التي ذكَرها أنَّ مِن شرطِ الإدغامِ أن لا يَنقُضَ معنىً ولا يَلْتَبِس بلَفظٍ"[47].

. قدَّم عدداً من المصطلحات الصَّوتيَّة، كالتعبير عن صفات الحروف بـ: مصطلح: (الأعراض)، وتلقيبه الحروف اللِّثويَّة، وهي الظاء والذال والثاء، بـ: (حروف النَّفث)، وسيأتي ذِكْرُ ذلك وغيره.

6- ابن دُرَيدٍ :أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ دُرَيدِ بنِ عَتَاهِية الأزديُّ البصري الدوسي المولود في عام 223هـ-837م،وهو من نسل مالك بن فهم الدوسيّ الأزديّ ، وهو عالم باللّغة وشاعر وأديب. "وذكر الزبيديُّ أنَّه كان أعلمَ النّاس باللّغة "[48].وتوفي سنة 321هـ-933م .

أعماله الصوتيَّة :

. يُعَدُّ ابنُ دُرَيدٍ أوَّلَ لغويٍّ قدَّمَ مذْهَبَين لمخارجِ الحُرُوف؛ مذهباً مُسْتقًى من معجم العَين، ومذهباً آخَرَ مستقىً من كتابِ سيبويه"[49].

. ضَمَّنَ كتابَهُ بعضَ الألقاب التي ذكَرها الخليلُ كالحروف المذلَقَة"[50].

كانت له رؤية في المخارجِ، فهو بعد ترتيبِ حروفِ الحلْقِ . حسب الترتيب المعروف . لا يَلْتَزِمُ ترتيباً في المخارج، فمن ذلك أنَّه أوردَ الياء، ثم السين والصاد والزاي، ثمَّ النون والراء، ثم التاء والدال والطاء، ثم الفاء، ثم الواو والباء والميم، ثم النون الخفيَّة، ثم الظاء والذال والثاء، وبعد ذلك الضاد"[51].

. استَعمل مصطلحات سيبويه في الصفات كالحروف الرخوة والشديدة، والمجهورة والمهموسة وإن كان مخالفاً له في بعض تعريفاتِها، فمن ذلك تعليله للحروف المطبَقة بقوله:"لأنَّك إذا لَفَظْتَ بها أطبَقتَ عليها حتى تَمنع النَّفَسَ أن يَجرِيَ معها"[52].

وهذا مخالِفٌ لما ذكَره سيبويه عن الإطباق، كما سيأتي.

. انفرَد ببعض المصطلحات الصوتية، كتعبيره عن صفات الحروف بـ: أجناس الحروف، وعن المخارج بـ: مجاري الحروف"[53].

. قدَّم عدداً من التعريفات والملاحظات الصوتيَّة . بغضِّ النظَر عن صحَّتِها . نقَلَها مَن بعدَه، كمثل تعريفه للخيشوم الذي تابعه عليه مَن بعده، ومثل أنَّ اللام تنقطِعُ بغُنة"[54]، وسيأتي ذِكْرُ ذلك في مظانِّه.

قائمة المصادر والمراجع :

(1)برجستراسر :التطور النحوي للغة العربية ،تحقيق : رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر، ط 2003م ، ص11.

(2) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (ت 337 هـ) : الإيضاح في علل النَّحو ، تحقيق: د. مازن المبارك، دار النفائس، ط5، 1406 هـ 1986 م ،ص 65.

(3) ينظر:مراتب النحويين: أبو الطيب اللغويّ (ت 351 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط2 ، ص 55 - 67 - 68.

(4)المصدر نفسه : ص9.

(5)ينظر:. الخصائص :أبو الفتح عثمان بن جنّي (ت 392 هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ج 3/ ص288 - 197.

(6)أبو الطيب اللّغوي: مراتب النحويين، ص9 .

(7)ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده:أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، (ت 456هـ)، دار الجيل، بيروت ، لبنان. ج 1/ص

(8)ينظر: المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النَّقط :أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444 هـ)، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة. ص 129

(9)ينظر: الفهرست: أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النَّديم، تحقيق: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت. ص 66 .

(10) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ الأندلسيّ :طبقات النحويِّين واللُّغويِّين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط 2،ص 75

(11)المصدر نفسه :ص 67 .

(12)ابن جنيّ : الخصائص، ج 3/ ص186 .

(13)إسماعيل بن عمر بن كثير:البداية والنهاية ، 1424-2003م، ج11/ص80

(14) ، أبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392هـ): سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم ، دمشق – بيروت، ط1، 1405هـ ، 1985م. ج 1/ص 45 – 46.

(15) أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانيّ (ت 444 هـ): التحديد في الإتقان والتجويد، تحقيق: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمَّان – الأردن، ط2، 1420 هـ ، 1999 م . ص 102 .

(16)ينظر: معاني القرآن : يحيى بن زياد الفراء (207هـ) ، تحقيق: أحمد نجاتي ومحمد النجار. 1ج/ص 127.

(17) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ الأندلسيّ : طبقات النحويين واللغويين. ص 132 – 133 .

(18) أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجيّ (ت 337 هـ): مجالسُ العلماء ،تحقيق أ. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ودار الرفاعي، ط2، 1403 هـ = 1983 م، ص 191 .

(19)ينظر: التحديد : الدانيّ ،ص 104.

(20)ينظر: معاني القرآن: الفراء،ج 2/ص 353

(21)ينظر: المصدر نفسه، ج 1/ص 172

(22)ينظر: المصدر نفسه،ج 2/ص 12 .

(23)ينظر: المصدر نفسه،ج 1/ص 215 – 379

(24) المصدر نفسه ،ج2/ص 301.

(25) المصدر نفسه ،ج 2/ص 353 .

(26) المصدر نفسه ،ج 3/ص 172 .

(27)معاني القرآن،ج 2/ص 149 .

(28)المصدر نفسه ،ج 1/ص 441 .

(29)المصدر نفسه ،ج 2/ ص353 .

(30) محمد طه الحاجري : رسائل الجاحظ ، دار النهضة العربية ، بيروت، 1983م. ص188

(31) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255 هـ): البيان والتبيين ،دار الفكر للجميع، 1968م،ج1/ص 14 .

(32)المصدر نفسه ،ج 1/ ص52 .

(33) ينظر: الدراسات الصوتيَّة عند علماء التجويد: د. غانم قدوري الحمد، مطبعة الخلود، 1406 هـ ، 1986 م. ص 60

(34)ينظر: المرجع نفسه ، ص 68 .

(35)الجاحظ: البيان والتبيين،ج 1/ص 47 .

(36)المصدر نفسه ،ج 1/ص 51 – 52 .

(37) المصدر نفسه،ج 1/ص 5 و 12 – 32

(38) المصدر نفسه،ج 1/ص 53 – 54 .

(39) المصدر نفسه،ج 1 / ص12 .

(40) المصدر نفسه ،ج 1/ص 28 .

(41) المصدر نفسه،ج 1/ص 30 .

(42) ينظر: علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربيّ :محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت. ص 55.

(43)ابن جنيّ : سرّ الصناعة ، ج1/ ص13.

(44) أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت 285 ه): المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، وزارة الأوقاف، القاهرة، ط2، 1399م. ج1/ص 331 .

(45) المصدر نفسه ،ج 1 / ص332 .

(46) المصدر نفسه ،ج 1/ص 346 .

(47) المصدر نفسه،ج 1/ص 333 .

(48) أبو بكر محمد بن الحسن الزبيديّ الأندلسيّ: طبقات النحويين واللغويين،ص 184 .

(49) ينظر: جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزديّ البصريّ (ت 321 ه)، دار صادر، بيروت.ج 1/ص 6

(50) المصدر نفسه،ج 1/ص 7 .

(51) المصدر نفسه،ج 1/ص 8 .

(52) المصدر نفسه ،ج 1/ص 8 .

(53) ينظر: الجمهرة،ج 1/ص 6 – 8 .

(54) ينظر: الجمهرة ،ج/ ص7 – 9.